



المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة



اسم الموضوع : الشروق

عنوان الموضوع : دوافع صعود «اللا ليبرالية» في الثقافة السياسية الأمريكية

تاريخ النشر : 07/04/2022

اسم الكاتب : مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة

الموضوع :

نشر مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة عرضاً بتاريخ ٢٩ مارس ٢٠٢٢ قدمته الباحثة هدير أبو زيد لكتاب توماس ماين بعنوان «صعود اللا ليبرالية» الذي يتناول ضرورة التعامل مع اللا ليبرالية على أنها أيديولوجية سياسية. كما ذكر أسباب وجود جمهور كبير لهذه الرؤية السياسية، وكيف يمكن الحد من تطورها والعمل على تحجيمها وإعادة مبادئ الديمقراطية الليبرالية مرة أخرى.. نعرض من المقال ما يلي. ساهمت أحداث كل من مسيرة «وحدوا اليمين» التي حدثت في مدينة شارلوتسفيل بفرجينيا في أغسطس 2017، واقتحام مبنى الكابيتول في الولايات المتحدة في 6 يناير 2021، في التأكيد أنه لا يزال لليمين البديل، والأيديولوجيات غير الليبرالية ذات الصلة، من حيث الجوهر والأسلوب، حضور رئيسي في الثقافة السياسية الأمريكية، وهو ما يسمى «بصعود اللا ليبرالية». وبناءً عليه، ستستمر مسيرة التطرف الطويلة عبر الثقافة السياسية الأمريكية وصولاً إلى مستقبل غامض وسلطوي. في هذا السياق، أكد «توماس ماين»، أستاذ الشؤون العامة والولاية بكلية باروخ، جامعة مدينة نيويورك في كتابه المعنون «صعود اللا ليبرالية»، ضرورة التعامل مع هذا المفهوم على أنه أيديولوجية سياسية. وعليه، يجب استكشاف الأسس الفلسفية والأصول الفكرية والاجتماعية لهذه الأيديولوجية، وكذلك التطورات السياسية التي سهلت من انتشارها، فضلاً عن توثيق كيفية اختراقها للخطاب السياسي السائد في الولايات المتحدة، وأخيراً السعي لمعرفة لماذا وجدت هذه الرؤية السياسية جمهوراً كبيراً، وتمارس تأثيراً طوال الوقت، وكيف يمكن الحد من تطورها والعمل على تحجيمها وإعادة مبادئ الديمقراطية الليبرالية مرة أخرى. ماهية اللا ليبرالية؟ السعي لتعريف لمفهوم اللا ليبرالية (عدم الليبرالية)، موضحاً أنها أيديولوجية سياسية ترفض صراحة الديمقراطية الليبرالية أو بعض المبادئ المركزية للديمقراطية الليبرالية، كالمساواة السياسية، وحقوق الإنسان. بناءً عليه، تشمل الأيديولوجيات غير الليبرالية جميع المتطرفين اليمينيين، بالإضافة إلى الحركات اليسارية غير الليبرالية. وفقاً للكاتب، تستند الديمقراطية الليبرالية إلى أهمية وجود حكومة قوية مستقلة لحماية حقوق المواطنين، كما يجب أن تستمد صلاحياتها العادلة من «رضا المحكومين»، وهو أمر غير وارد لدى مبادئ اللا ليبرالية، فضلاً عن رفضها إمكانية التغيير أو الثورة، وذلك بخلاف الديمقراطية الليبرالية التي ترى أن هذا الأمر يضمن حرية التعبير وضمان عدم انتهاك الحكومة لمبادئ الديمقراطية. ناهيك عن الأسلوب الخطابي لهذه الأيديولوجية والذي يقوم على الإزدراء الصريح للتسامح، والإصرار على أن السياسة هي الحرب، واحتضان مفهوم الصديق مقابل العدو، واتهام جميع المعارضين السياسيين بالخيانة. مظاهر اللا ليبرالية تقدم الكاتب مجموعة من المظاهر والمؤشرات الكمية والنوعية لصعود مفهوم اللا ليبرالية وانتشار مبادئه؛ حيث قام بإجراء تحليل كمي للمنافذ غير الليبرالية للرأي السياسي على شبكة الإنترنت والذي شمل تحليل حوالي 1952 موقعا إلكترونيا، ليتوصل الكاتب من خلالها بأن هناك زيادة في حجم الجماهير المؤيدة لمنافذ اللا ليبرالية كأيديولوجية سياسية. ليس هذا فحسب، فجمهور المواقع اليمينية غير الليبرالية أكثر تفاعلاً مع مواقع الويب المفضلة وهو ما سيسهل من انتشار أفكار ومبادئ اللا ليبرالية لدى الثقافة السياسية الأمريكية. وعلى النقيض مما يراه البعض، بأن مسيرة «وحدوا اليمين» في أغسطس 2017، والتي ضمت أعضاء من اليمين المتطرف واليمين البديل، والقوميين البيض، للدعوة من أجل توحيد البيض، ساهمت في خلق اعتقاد قوي بأن حركات اليمين البديل باتت تترجع، أشار الكاتب إلى أن حركات اليمين البديل والمتطرف ما زالت مهمة وسيزداد حجم مؤيديها في العقود المقبلة، وهو ما سيؤثر بالسلب على مستقبل السياسة الثقافية والتي وصفها محررها السابق «ستيف بانون» بأنها «منصة اليمين البديل الأولى»، «NewsBreitbart» الأمريكية، والتي ستكون أكثر ميلاً للسلطوية. ومن الأدلة على ذلك، منصة لأنها تحتوي على أكبر جمهور مقارنة، بأى مجلة سياسية أخرى على شبكة الإنترنت، بإجمالي حوالي 51 مليون زيارة و5.5 مليون زائر في المتوسط الشهري. وعليه، بات السؤال الأهم من وجهة نظر الكاتب، لماذا يجب أن يكون استمرار وجود اليمين البديل أمراً مثيراً للقلق؟. السبب هنا لا علاقة له بدعم الحركة لدونالد ترامب، أو الحمائية، أو القومية.. إلخ بل يتعلق بالعناصر الأساسية لأيديولوجية اليمين البديل، كحركة غير ليبرالية ومعادية للديمقراطية، تعتمد على العنصرية والتطرف الأبيض ومعاداة أمريكا والاعتماد على الخطاب اللاذع والتعصب. علاوة على ما سبق، أشار الكاتب لمجموعة من المظاهر بعد انتهاء فترة ولاية الرئيس الأمريكي السابق «دونالد ترامب»؛ حيث ساهمت البيانات والتحليلات التي تم إجراؤها، وجمعها قبل الانتخابات الرئاسية لعام 2020، في خلق حالة من التفاؤل بأن ترامب سيهزم بشكل ساحق، كما سيتمكن الديمقراطيون من تشكيل حكومة موحدة بعد السيطرة على البيت الأبيض ومجلسي الكونجرس، وأخيراً، ستبدأ عملية إعادة الاصطفاء السياسي بعيداً عن المبادئ غير الليبرالية لترامب. بالفعل، حقق الديمقراطيون حكومة موحدة، لكنهم عجزوا عن القيام بعملية إعادة التنظيم والاصطفاء السياسي، لأن قبضة اللا ليبرالية على الثقافة السياسية الأمريكية باتت، وفقاً لبعض المعايير، أقوى من أي وقت مضى، فقد كان المشهد المذهل للحشود الغاضبة من مؤيدي ترامب، والتي عصفت بمبنى الكابيتول الأمريكي نتيجة للأخبار المزيفة القائلة بوجود تزوير بالانتخابات، من أهم المظاهر الدالة على انتشار المشاعر غير الليبرالية في التاريخ الأمريكي الحديث. أركان الثقافة الأمريكية وفقاً للكاتب، هناك ثلاثة أركان رئيسية للثقافة السياسية الأمريكية وهي: الهوية، والأفكار، والمصالح. وعلى الرغم من أن الهوية، ويُقصد بها هوية النظام السياسي، تمثل جانبا ضرورياً من جوانب الحياة السياسية، والتي ينبغي تطويرها بشكل يتوافق مع الديمقراطية الليبرالية، نجحت الأيديولوجيات غير الليبرالية اليمينية في استغلال نظرية الهوية العنصرية في رأس هجومهم على الديمقراطية الليبرالية. جاء ذلك من خلال الاعتماد على ما يسمى بـ«أطروحة الانقلاب»، والتي ترى أن الأشخاص الغريباء أو أصحاب الطبقات الدنيا أو الخاسرين يحصلون على الأفضلية والاهتمام من جانب منظري الرأي السائد، حيث تمكن غير الليبراليين من تعريف أنفسهم على أنهم الغريباء الحقيقيون للمجتمع الليبرالي الديمقراطي، وأنهم منبوذون من الديمقراطية الأمريكية، وبالتالي المجموعة الوحيدة التي تمتلك مسافة نقدية من المجتمع وقادرة على إحداث تغيير جذري. على الجانب الآخر، لعبت الأفكار دوراً مهماً في الثقافة السياسية الأمريكية، حيث تمكنت الولايات المتحدة خلال الفترة من سبعينيات القرن الماضي إلى مطلع الألفية، من خلق نظام لإنتاج ونشر الأفكار العامة التي كانت بسيطة بما يكفي ليتم استيعابها من قبل الجماهير، ولكن بسبب التطورات السياسية والاجتماعية المؤلمة في أوائل القرن الحادي والعشرين، فضلاً عن انتشار تقنيات الاتصال الرقمي التي قوضت وظائف الحفاظ على الثقافة العامة للمفكرين، تحطم هذا النظام بالكامل، ما ساهم في انتشار المبادئ غير الليبرالية في جوانب الحياة السياسية الأمريكية كافة. لذا، يرى الكاتب أنه يجب على المفكرين أن يتخلوا عن بعض العقائد التي أضعفت موقعهم حتى قبل التغييرات التحولية في القرن الحادي والعشرين، لأن الثورة الرقمية باتت أمراً لا يمكن الرجوع عنه. وأخيراً، حتى لو نجحت الولايات المتحدة في القضايا المتعلقة بسياسات الهوية وأعدت إحياء قدرتها على تطوير أفكار عامة مفيدة، ستظل المصالح هي الدافع الرئيسي وراء أي عمل سياسي، وهو أمر في غاية الخطورة، فما زالت جماعات المصالح حاضرة بقوة في المشهد الأمريكي، ناهيك عن المشكلات المعروفة للتعددية، ما سيؤدي لخلق مشاكل عديدة لاسيما مع الدستور الأمريكي المجزأ بشكل مثير للقلق، لأنه يقيد من فعالية العمل الجماعي، وكلها أمور ستسعى الأيديولوجيات اللا ليبرالية لاستغلالها. ذلك أن الأفكار العامة لمعظم الخبراء قد حلت محلها «الميمات الرقمية»، وهي ما أطلق عليها الكاتب «استراتيجية السخرية»؛ حيث دعا إلى ضرورة موازنة خطاب السخرية المسلحة الذي يهيمن على احتياجات الويب بخطاب حقيقي يساعد على بناء إجماع اجتماعي حول أفكار الخبراء والمحللين الذين يستندون لمعرفة حقيقية، ولتحقيق ذلك، يجب الضغط على مقدمي خدمات الإنترنت لتعديل المحتوى الفكري لمواقعهم الإلكترونية. ختاماً، دعا الكاتب إلى ضرورة إعادة التنظيم الديمقراطي مرة أخرى في الولايات المتحدة من خلال تنشيط الهوية الأمريكية القائمة على مبادئ الديمقراطية الليبرالية، كالمساواة واحترام حقوق الإنسان وغيرها، وهو ما أطلق عليه الكاتب اسم «سياسات الهوية الإيجابية»، أي خلق إحساس مشترك على نطاق واسع بالمجتمع للتأكيد على الأهمية المتساوية لجميع قطاعات المجتمع وإعادة ثقة الجمهور في الحكومة، كما أكد الكاتب أهمية الإصلاح الدستوري، من خلال إجراء تعديلات دستورية لتحسين عملية صنع القرارات والسياسات والحد من الانقسام. *لينك المقال في الشروق